تطلعات وتحولات في القصة العراقية القصيرة

بقلم صاحب كر

لو رجعنا عبر الثلاثينات والاربعينات ووقفنا حتى نهاية الخمسينات لرأينا اننا نعايش ، ادبا قصصيا ناميا ، يتطلع باصرار ليعلن عن حضور مستمر حيث محمود احمد السيد وذو النون ايوب وعبد المجيد لطفي وعبد الحق فاضل وغانم الدباغ ، وغائب طعمه فرمان ، وشاكر خصباك وفؤاد التكرلي وغيرهم !..

ثم اننا نقف لنتامل الفترة الخمسينية حيث نجد قاصا اغفله اغلب النقاد وكانه بات غريبا لا يعرفه احد ، انه القاص عبد الرزاق الشيخ علي ، الذي لم يترك لنا غير كتابين هما حصاد الشوك ١٩٥٠ ، وعباس افندي ١٩٥٩ .

وعندما نتفحص ما كتبه هذا القاص نراه قد جسد الواقع الاجتماعي العراقي تجسيدا سليما ورسم رؤياه بشكل واضح ، ومن خلال نظرته تلك أعطى للقارىء مسحا شاملا للمجتمع المتغير في ظروف ما بعد الحرب حيث الغلاء والوجوم والقهر !.. ليس ذلك وحسب فطغيان رأس المال مسخ النفوس البريئة وأحالها الى هشيم وسقوط في الرذيلة والبؤس ، بل كانت قصصه عن الريف والمدينة ، عن العامل الفلاح ، عن السجون والمعتقلات ، عن المشاعر الانسانية ، عن الحب والزواج ، عن العناء والانفعالات مثالا للقصة العراقية الاصيلة . والقارىء لقصصه يحس بعمق مدى الانسحاق الذي يعانيه الانسان العراقي من البؤس والظلم والحرمان وما يعتمد في الاعماق من سخط وتمرد .

ومع انه استعمل الحوار بالعامية العراقية الا ان ذلك لم يفقد من فنية القصة وحبكتها وموقف مؤلفها الجاد . يقول عنه المستعرب ف. شاكال « ان ابداعية عبد الرزاق الشيخ علي تلمس فيها اتجاها جديدا مما يسمى بالواقعية الجديدة » (١) .

ولن اغالي اذا قلت ان من كتبوا في وقتنا هذا لم يبلغوا الباع الذي بلغه ـ الا القليل منهم ـ في الرصد والتصوير والرؤيا .

ان ما يحاوله قاصنا الجديد هو الاستثار لنفسه بالمجد القصصي والعزوف عن التراث القصصي العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص . وهذا يعني التكابر والغرور والترفع !.. وقد يفاجئنا ناقد ونحن ازاء هذه المكابرة لينتبأ بان القصة تكاد تنتهي لانها لم تعد لها مواضيع تستلهمها !... ليس هذا فقط بل الحيرة التي تكتنف القاص عندنا ، كيف يكتب ، هل يكتب القصة بشكلها التقليدي ام بشكل حديث يتطلع من خلالها الى متطلبات العصر وتعقيداته .. ثم ما هي المهمات التي يريد ان يكشفها القاص او ما هي الفلسفة التي عن طريقها يعرض مفاهيمه ورؤياه ؟..

تلك امور تشترك او تشارك في حيرة قاصنا العراقي ، وبذلك يظل بعيدا عن مهمته او يتعالى عن واقعه !.. انه ينسى محمود نيمور وطه حسين وامين يوسف غراب ونجيب محفوظ .. ينعالى على عبد الملك نوري ومحمود احمد السيد وعبد الحق فاضل وجعفر الخليلي وفؤاد التكرلي وغائب طعمة فرمان وعبدالرازق الشيخ علي وادمون صبري وجيان ... اجل ينسى هذا التراث ثم يقتطف عبارات ليقول بان : الكاتب عليه ان يعايش عصره ، والا فانه يخونه . وهذا صحيح وجاد جدا . ولكنني اتساءل ما هي الخيانة التي اقترفها قاصنا العراقي الاول ؟ متى بدأ يكتب وفي اي ظروف ؟ ما هو الزمن الفاصل بيننا وبينه ؟ هل هو قرن كامل ام انها سنوات قليلة تزيد على الربع قرن قليلا او كثيرا ؟..

نعم ان المسافة الزمنية ليست بعيدة جدا ، حيث كانت القصة في تلك الحقبة الزمنية تزحف زحفا دؤوبا تستمد عونها من هنا وهناك، من الادب الفرنسي المترجم الى التركي او العربي ، او من الادب العربي المصري المترجم عن الفرنسي ايضا ، ومن الادب الانكليزي في مرحلة اخيرة او من الادب الروسي المترجم الى العربية .. فالقصة لملمت شعثها من هنا وهناك وعرفت ان الاصالة في القصة العربية القديمة من مقامات الحريري والف ليلة ، لم تعد غذاء وفتحا ، فاتجهت عبر الطريق عاملة ما وسعها فشاركت واعطت نتاجا طيبا في وقت اجدبت فيه الحياة ، فلم تجد القصة اي تشجيع او مساعدة . وبالتالي يأتي من يصف رواد قصتنا بالوقوف والتقهقر من جانب او بالخيانة ـ من طرف خفي ـ من جانب آخر ، مع ان الخيانة تلحق الاديب اذا لم يكن سياسيا يحمل شكوى الناس ومتطلبات حياتهم ومعاناتهم ، وهذا اتجاه اغلب المفكرين والكتاب في العالم .. وان فاتحي صحو قصتنا استجابوا بشكل من الاشكال فتكلموا باسم ظروفهم ، باسم مجتمعهم بكل تناقضاته وصراعاته الفكرية والطبقية كما تجلى عند محمود احمد السيد وعبد الرزاق الشيخ علي وذو النون ايوب وغيرهم ..

ولا ضير ان اعرض للقارىء بعض قصص الخمسينات لتجد نفسها بين الخضم القصصي الجديد ـ اذا صح التعبير ـ كانطلاقات لهواجس

---

(١) مجلة الاديب العراقي ـ العددان الخامس والسادس ١٩٦٢ « في القصة العراقية » بقلم المستعرب ف. شاكال ترجمة مالك قرايوف ص ١٣٧ .

عاطفية وانسانية معا .

فهذه قصة ـ تلك الليلة (٢) ـ لغانم الدباغ ، التي يمكن ان نجد علاقة بينها وبين القصص التي اتسمت بالجنسية في ايامنا هذه . وهذا مقطع منها : « واوشكت اوهامي ان ترسب في القاع ، حين رأيتها تنتصب امامي وانفاسها تلهب وجهي ، ولما سالتها عما تريد ،اجابت بصوت راعش : ـ لا شيء ! لقد خشيت عليك البرد ، فخلتك نائما ، خذ هذا الغطاء ! وأسبلته عليّ ، وراحت يداها تتحسسان مواضع جسمي وهي تضمه ، وشعرت انها تشتد في الضغط على اطرافي، وحين زلقت يداها الى اقصى قدمي ، كانت كمن تعركهما ، وتبذل جهدا في رفع يديها عني ، ثم عادت الى مكانها ولهاث انفاسها يملأ جوف الليل .. ! »

وهذا نموذج آخر من الخمسينات ايضا ، انها قصة : « لذعة برد » (٣) لعبد المجيد لطفي وهي قصة فتاة احبت رجلا غريبا عن اهلها ، فاغتالتها العادات البالية ، وتركتها مضرجة بدمائها ، ضحية من ضحايا القرون البليدة .. وهذا مقطع منها : « وبعد لأي فتحت عينيها ببطء ونظرت الينا ببقية من فتور وقالت : مالكم هكذا جميعا .. ألا يذكركم هذا الربيع الجميل بشيء ؟ بقصة او حادثة او حب او قصيدة ..؟ ما اكثر عدد البلداء في هذا العصر .. واعتصر الهم قلبي فقلت وانا اكظم غيظي : هل تدرين كم انت جميلة وساحرة ثم اننا كنا ننظر اليك بعبودية وهيام .. » .

اما اذا اخترنا بعض المقاطع من قصص عبد الرزاق الشيخ علي ، فاننا نكون قد وصلنا بأن التغير في خلال هذه الحقبة من الزمن لم يكن غريبا علينا ، وبذلك نبطل الخيانة والانزواء برواد القصة العراقية ولاجل ذلك نقتبس هذه الصورة من قصة الافعوان (٤) :« الضجر والفقر والغلاء ، وهذا البرد اللعين ، وهدوء الليل يتصدع بين آونة واخرى بصفارة الخفر أو بجلجلة دواليب سيارة ، او بأزيز طائرة تعبر سماء بغداد الى جهة مجهولة ، وانا متمدد لصق زوجتي (ماجدة) اصيخ انفاسها ، واسحب بصعوبة دخان سيجارة رطبة ، واحملق في ورقة منشورة بين اصابعي ، وافكر في حياتنا التي اصابها الذبول ، فاصفرت اصفرار اوراق الشجر في الخريف » .

انه التمثيل الصادق والحيوية المتدفقة ، حيث انك تستطيع ان تلمس وتعرف ان القصة عراقية ترسم الهدف والغاية وتعرض العقدة وتحاول ان تحلها بطريقة اصرارية .. انها تقف متحدية لا متميعة مخذولة !.. بينما هذا الانطلاق والصراع لا نجده ـ الا ما ندر ـ في القصة العراقية الجديدة ..

فلا نرى وجه العراقي ولا نعرف عن هوية البطل او اسمه ، بل نعيش التيه الغربي ، نبصر انسان الازمة الرأسمالية الخالي من كل القيم والانتماءات ، او نرى انسان السام والضجر في الحضارة الغربية ، ولا نرى انساننا العراقي الذي يريد ان يقف باعتدال . فبدلا من ان يشده القاص الجديد الى القيم الانسانية ويشيع في نفسه روح التعاون والتضحية ، نراه يجرده من كل الاعتبارات الخلقية همه الوحيد ان يركض وراء المرأة وهي تبدو عارية او مرتدية رداء الجنس والابتذال ، ناسيا تحررها الاقتصادي وثقافتها ومكانتها في تربية النشء وصون المجتمع من السقوط !..

فهل هذه القصة التي نريد ..؟

ان القاص اذا لم تكن له فلسفة انسانية في الحياة فان طريقته مسخ القيم والالتزامات واعتبار الحياة لا معنى لها وهذا هو الانحدار . اما استعمال الجمل والمعاني بشكل ازدواجي (٥) والتستر بالشاعرية آنا وبالتجريد آنا اخر فانه المتاهة والضياع في بحار عميقة وبالتالي فانها القصص التي لا مبرر لوجودها .. وحتى اذا كانت هذه القصص المبهمة العسيرة الفهم تخدم ناحية ما ولكن تدحرجها وانفلاتها يفوت على القارىء الفائدة والاستمتاع !..

ولا ادري لماذا يغرينا هذا التصدع والانهزام ، فيجرفنا التيار اللاخلاقي نحو تصدعات مخيفة !.. فينبري بعض النقاد في مدح هذا النتاج او عقد مناورات كلامية يتم فيها تفضيل هذا على ذاك اوانهزام احد الطرفين !.. او ينبري من يصف هذا النقد بالتفاهة والبطلان وخلو الجو الادبي من النقاد .. كل هذا يحدث وقاصنا العراقي حائر ، او انه منجرف ، لانه وجد من يثني على نتاجه ليصفه بالحداثة والجدية او بالضعف والهزال .. وبذلك تتجلى المعقولية واللامعقولية ، الانتمائية واللاانتمائية وفق هذه التصورات ، ثم تبرز اصوات ملتزمة قليلة لترد على هذا التكابر والالتواء فلا نسمع صدى لكلماتها !..

ولن ابخس الانتاج القصصي في بلدنا فهناك من ظهر في جدية القصة واصالتها والتزاماتها . ولدينا من هؤلاء ما يمكن ان نفتخر بهم في الوقت الحاضر . فالقاص يقاس بنتاجاته ورؤيته وتطلعاته الاستكشافية .

ان هؤلاء الذين اذكرهم قلة قليلة ولكن لن اهدر باع غيرهم من قصاصنا الشباب . القارىء لبعض قصص جليل القيسي يحس ان لدينا قاصا قد مسك بزمام القصة واحس باتساع الحياة . ان ذلك تجلى في قصة « الطيور المهاجرة غربا (٦) » . فهي نموذج حي للقصة المعاصرة حيث تبدو حكاية اغتصاب الارض المحتلة ، ومن ثم تعطي للفن القصصي ظاهرة غنائية او سينمائية يتجاوب معها القارىء وكأنه يرنو من وراء مجهر ، تبدو له الاجزاء متناثرة ، متشابكة ، متحللة مع انها في الاساس شريحة واحدة .. وبذلك اظهر هذا القاص نبأ الهزيمة في ثلاث جولات امام المصير الواحد ، وهو ما آل اليه المصير العربي..! واينما انتقلنا في اجزاء القصة وجدنا حركة واحسسنا امتزاجا . وهذا تداع يشخص لنا تطلع القاص :

« اي جدوى ان اعود لحما ، او عاطفة ؟ لكن الالم الذي لا ينسى ، يتحول ذات يوم الى فعل . من خلال الدروب الكثيرة المفروشة بالثيران ، والهواء الملوث حملنا على الالام . وخشية ان لا نبقى رمزا للذل ، حفرنا في طيات لحوم اجسامنا مخازن للالام » .

وفي مكان آخر من القصة :

« قلت : النزوح صار موضة هذا الشعب . نحن اشبه بالطيور المهاجرة في الليل ، في النهار ، في الظهيرة ، وفي كل المواسم تهاجر .. مهاجرون محترفون .

قالت : انني اذكر الهجرة بوضوح » .

وتنتهي القصة بملاحظة يكتبها الفدائي الجديد الى اخته بعلمها باستشهاد خطيبها :

« الم نتفق ان فترة الميوعة انتهت . تماسكي وانت تقرأين كلماتي الاخيرة . استشهد عبد القادر امس ، التحقي انت الاخرى .. »

وله قصة اخرى هي (الجبهة صامتة الان .) (٧) فهي ناجحة على

(٢) مجلة القصة العدد ٢٩ كانون الاول ١٩٥٠ ـ القاهرة ـ هذا وان القاص الدباغ يواصل نتاجه القصصي بلا انقطاع ، وان مجموعاته تسجل له هذا الاستمرار .

(٣) مجلة القصة ـ العدد ٣٨ ـ ابريل ـ ١٩٥١ ـ القاهرة .

(٤) عبد الرزاق الشيخ علي ـ عباس افندي ـ مطبعة العاني بغداد ١٩٥٩ ص ٣٨ .

(٥) للتوضيح : انظر مقالة : باسم عبد الحميد حمودي (بيان قصصي من طرف واحد) الاقلام ، الجزء الثاني ، تشرين الثاني ١٩٦٩ ص ٤١ ـ ٤٧ ـ بغداد .

(٦) مجلة المثقف العربي ، العدد الثالث ، نيسان ، ١٩٧٠ ـ بغداد ـ ص ٨٥ ـ ٩٩ .

(٧) مجلة الف باء ، العدد ١٥٢ ـ ٧ تموز ١٩٧١ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

العموم ولكنها لن تبلغ روعة القصة السابقة .

اما قصة « ديوس اكس ماشينا .. » (٨) والتي تبدو انها حلم او كابوس او خاطرة .. ومهما برر القاص معنى العنوان في النهاية ـ بكلماته اللاتينية التي تعني « الاله الذي يسير على الالة ..» ـ فانها غموض واضح ! ومهما قال عنها بعض النقاد ـ من زاوية اعجابهم بالقاص ـ بانها من الانواع التجريبية . فهذا لا يقنع القارىء ولا الناقد ، وبالتالي لا تقف مع المستوى الذي وقفته قصة : «الطيور المهاجرة غربا» ومجموعته ـ صهيل المارة حول العالم ـ ولكنها قد تكون ميكانيزم ما ينزع به من خلالها نحو وجهة معينة .

اما القاص محمد خضير ، الذي يختلط اسمه مع خضير عبد الامير وموفق خضر .. ولكنه كقاص متمكن يثبت نفسه بمعقوليته وثقته بما يكتب ، ينطلق بقصصه الفنية بالرؤى والشمول ، غير مكترث ما قيل عنه :

« انه رغم معاناته الجديدة فهو ما زال متعلقا باذيال الخمسينات بما فيه من اغراق الوصف وغوص في بحر الكلمات دون وعي تام لما تؤدي اليه هذه الحالة » . (٩) انما هو تجديد وتنشيط للواقع الانساني ولن اغالي اذا قلت بأن قصصا مثل : ـ

اوهموا بعضهم بعضا (١٠) ، الارجوحة (١١) ، القطارات الليلية (١٢) ، الشفيع (١٣) ، وغيرها من قصصه ، تعتبر من ابرز القصص العراقية المعاصرة .

فالتنكر الذي يحصل عند الانسان والتملص من المسؤولية ومعاناة الغربة ، كل هذا يتضح في قصة : اوهموا بعضهم بعضا .

ثم قصة (الارجوحة) التي تجعل القارىء مشدودا اليها متحريا زوايا كلماتها وتوازنها بين عالمي الشخصية الداخلي والخارجي . ان الجندي الذي يحمل نبأ استشهاد رفيقه في المعركة يقدمه القاص باسلوبه العذب الهادف اذ يقول :

« وترجل عن دراجته واسندها للجدار ، وقطع الجادة منحدرا على ضفة الاعشاب الزاحفة ليغسل اصابعه الدبقة في ماء الجدول ، ثم شرب وبلل رأسه الحليق مغترفا الماء براحتيه المكورتين .. » ويستمر القاص كاشفا كيف ان الجندي قابل ام الشهيد وابنته الصغيرة (حليمة) ، ثم كيف تكون الاجابة على اسئلة الطفلة ، وكيف ترى اباها كالدخان وتحلم به ثم تغفو ..!

اما قصة (القطارات الليلية) ـ التي تشبه قصة (الطيور المهاجرة غربا) لجليل القيسي في التكنيك ـ فهي سلسلة من المواقف المتداخلة .. بل هي دنيا رائعة معزوفة او سونياتا . انها تأتي بشكل مواقف مسرحية قصيرة او لقطات سينمائية .. غير ان رؤيا القاص وسيطرته على خيوط القصة وحبكتها جعله ينهض بالموقف ويسيطر عليه ليعرض الحياة بشكل رمز او حقائق . ثم ان القارىء يحس بالرضا والغبطة عن هذه الشفافية من ناحية والعمق من ناحية اخرى ..

نرى في القصة ـ مثلا نرى ـ رجلا وامرأة يشاهدان فلما حيث تبدو فيه لقطات في داخل القطار ، وفي غرفة سائق القطار ، ولقطة داخلية ولقطة شاملة .. ثم رسالة امرأة لزوجها الجندي الذي تجهل عنوانه ، والفئران التي تتحرك تحت الكراسي ، ووجه المرأة الرملي التي تبعث بالرسائل ومن ثم وجه الزوجة المتألق ..

انه لو لم يقسمها الى فقرات لكانت اكثر اصالة وعمقا .. انها فقدت شيئا من رونقها عند التجزئة .. وبالرغم من غموضها الا انها تجذب القارىء الى عملية الابداع وتنشيط الفكر .

والمتأمل لقصة (الشفيع) يرى انها تجسيد للذكرى الحسينية، حيث يصف القاص خواطر امرأة حبلى ـ بشكل تقريري ـ جاءت تتبرك وتتطهر وترى المواكب المحتشدة من كل اطراف البلاد ، محتمية بالدعاء :

« يا مولاي . ادركني يا شفيعي »

« حيث تتوقف يحملها الهذيان ، واخذت تزغ بين الاكتاف . كان ما يذبذبها ويملأ رأسها المسموم ، هو صخب العقاب في رحمها المتورم الناضج الذي يدفع بحمله للاسفل عند كل درجة . (ليس الان يا مولاي) . » وهنا يحدث حوار بين الحبلى وشخص آخر ـ ربما يكون زوجها ـ

قالت الحبلى :

ـ دعني هنا ، واذهب انت للزيارة .

ـ كيف ؟ قد يحدث ذلك وانت هنا .

ـ اذن سيكون مسقط رأسه على هذا البلاط وسيكون وفيا ايضا .

« انظر لكل هؤلاء الزوار كم هم اوفياء . جاءوا سيرا على الاقدام مع طرق السيارات تحت الشمس وفي الظلام ، هل رأيتهم .. كانوا يسترشدون باضواء السيارات وقد رأيناهم يحملون راياتهم ايضا . كانوا يتسابقون للوصول . والان هم يرقدون في الساحات وعلى الارصفة وفي الصحن . يا شفيعي ، سيكون وفيا مثلهم وسادعه يشترك في المواكب ويطيّر رأسه في عاشوراء . وشعره وحليه ساندهما لك وسأسميه باسمك يا شفيعي » .

ويختتم محمد خضير قصته :

« وعادت المياه الصافية المتدفقة من فواصل المرمر تسيل بحفيفها الناعم وانتظرت المرأة الحبلى ان يغرقها نهر المرمر ثانية بلذته الغريبة وتوهجه المضيء » .

ان هذه القصة بالرغم من اغراقها بالتقرير والوصف وعدم تعرضها للواقع الاجتماعي ، غير انها وثيقة ورد حاسم على قصة « طقوس العائلة » (١٤) لموسى كريدي ، وقصة « اهتمامات عراقية » (١٥) لجمعة اللامي .

فقصة « طقوس العائلة » لم تكن نقدا موضوعيا ولا تجربة جديدة كما وصفها بعض النقاد او انها ثورة على الواقع الاجتماعي ، بل انها تشهير اخلاقي لا مبرر له .. انها تصف شخصا من اهل المدينة ، يكشف لضيفه ما تجود به المدينة من ممارسات دينية ، ثم انه يختبىء في احد المشاهد ليكشف للضيف ، ان زوجة الممارس للطقوس الدينية تتعاطى اللذة مع شخص مجنون .. ولا ادري كيف دبر البطل هذا اللقاء المفاجيء والاختفاء المفاجيء ، ولماذا جعل دماء هؤلاء تجري في الشوارع والحفر والاوساخ !.. وبالاخير فان القصة يشيع فيها البصاق في اكثر المشاهد ، وهذه حالة استهذبها قاصنا العراقي ، بالرغم ان وزارة الصحة تمنع البصاق على الارض !..

اما قصة « اهتمامات عراقية » لجمعة اللامي فهي توجه جديد في كتابة القصة ، وانها تعالج نفس الموضوع الذي عالجه كل من محمد خضير وموفق خضر .. ولكن محمد خضير كان ملتزما ، اما موفق خضر فانه خرج بلا شيء .

وهكذا فان جمعة اللامي جاءت محاولته هذه غير موفقة لانه ورط نفسه في مقارنات مع الحسين وبين ادغال بوليفيا وبين قادة الزنج

---

(٨) فاضل تامر ، ياسين النصير ـ قصص عراقية معاصرة ـ مطبعة دار السلام ـ بغداد ـ ص ١٧٢ ـ ١٨١ .

(٩) الاقلام ـ الجزء الثاني ـ تشرين الثاني ١٩٦٩ ـ عبد الرحمن مجيد الربيعي (القصة العراقية الجديدة) ص ١٦

(١٠) مجلة الآداب ، العدد السادس ، حزيران ١٩٦٧ ص ٥٣ ـ ٥٥

(١١) قصص عراقية معاصرة ص ١٩ .

(١٢) مجلة الاقلام ، الجزء الثاني ، تشرين الثاني ١٩٦٩ ص ١٩

(١٣) مجلة الكلمة ـ العدد الرابع ـ آذار ١٩٦٩ ـ نجف ـ ص ٤٧

(١٤) قصص عراقية معاصرة ص ٧٢

(١٥) نفس المصدر ، ص ١٦٣

الثلاثة .. ان اكتشافه جيد ولكن طريقة الشكل والمضمون لا يقنعان القارىء بالموافقة والارتياح .. وبعد ذلك يأتي اسم المؤلف في النهاية بقوله : « ترى لماذا يتعب جمعة اللامي نفسه هكذا » . وانا اقول كذلك : ترى لماذا تتعب نفسك بهذا الشكل ؟.. وليس هو الوحيد الذي يذكر اسمه في قصصه فيبدو لي ان عبد الرحمن مجيد الربيعي وعبدالستار ناصر وغازي العبادي ولا ادري اذا كان اخرون يفعلون هذا النهج ام لا ؟..

ولن اترك هذا النوع من القصص الذي راح يرصد حادث تاريخي تقام فيه المآتم والمواكب والاحزان ، فقد اضاف خضير عبد الامير قصة جديدة لهذا الموضوع هي : «ورقة الاحتجاج العاشرة» (١٦) دلل فيها ان الانسان لا يبكي من اجل المأساة نفسها ، انما يبكي لانه فقد ابنه او اي عزيز له ، وبذلك انكر الموروث الاجتماعي والتربية . وهذا مقطع من القصة :

« وارتفع نحيب رجل اخر.. رجل سحقته الايام وجردت منه حتى حيوية الاهاب ، ودق رجل كهل صدره بقبضة يده وقلت مع نفسك انه مثلي فقد ولده ومع ذلك سادق انا على صدري » .

وهكذا تنتهي الايام العشرة ، وينتهي بكاء الرجل الذي ندب ابنه فقط ، ولم يستطع القاص ان يوضح انطلاق الانسان من زاوية الحزن العميق ، بل انطلق من زاوية خاصة بحتة . ولقد لقيت هذه القصة ثناء من قبل بعض النقاد عندنا ايضا !..

مثل هذا النهج يعود بنا الى الناقد العراقي الذي يقسم القصة العراقية الى اجيال ، جيل الخمسينات مثلا او الستينات ، فهو عندما يتناول الاتجاه الواقعي في القصة يقول :

« فالبطل هنا لم يستطع الخلاص كليا من ترسبات بطل الواقعية التقليدي . الا انه مناضل وثوري بالمجان . مندفع ومغير في كل زمان . يحمل هموم العالم وشخصها ، ويعجز عن التشخيص الدقيق لهمومه ان المرحلة التي عاصرها وسط الخمسينات تتطلب بطلا ثوريا يضع على الرف همومه ومشاكله ، انه البطل المنتمي المتلىء احساسا بالثورة » . (١٧)

الم نلاحظ ان هناك صراعا في قول الناقد ، مرة يصف البطل بانه مناضل وثوري بالمجان .. ومرة اخرى يطلب منه ان يضع همومه ومشاكله على الرف لانه منتم !.. وهذا يعني ان تخلي البطل عن همومه ومشاكله هو تخل عن الانطلاق والثورة، لان الثورة هي التجسيد لهموم ومشاكل الجماهير وبالتالي فهو جزء من المجموع !..

ولهذا فان قصة « ورقة الاحتجاج العاشرة » ما هي الا تناقض للمفهوم الثاني لان البطل لا بد ان يحتذي بفلسفة ، بل ان القضية التي يسعى من اجلها هي التي تبرر افعاله،وعلى هذا الاساس فانه انطلاق جانبي ، لانه لم تكن هناك قضية انسانية بل دافع ذاتي ضعيف ! وحتى اذا كان البطل ساذجا فانه ثمرة لواقع اجتماعي واقتصادي وتحولات اخرى تجعل منه ان يكون عاطفيا او صلبا او انه مسحوق متسربل بالاحزان كما اسلفنا !.. وبذلك تكون القضية غير مرصودة تفتقر الى السلاح الفكري الذي يحمله القاص ـ وهو الفلسفة ـ فيندفع به خلال هذا الخضم العاتي !.. بينما الواقعية في نظر المستعرب ف. شاكال بالنسبة للقصة العراقية خلال فترة الخمسينات جاءت مركزة بهذا الشكل :

« ان ممثلي الواقعية الجديدة ، جاءوا ببطل جديد الى الادب وهو انسان منتصر وواثق من نفسه وباعث الثقة في الاخرين ، ويبشر بمستقبل سعيد ... » (١٨)

---

(١٦) قصص عراقية معاصرة ، ص ٩٠

(١٧) قصص عراقية معاصرة ـ ص ١٨

(١٨) مجلة الاديب العراقي . العددان الخامس والسادس ١٩٦٢ ص ١٣٨

انني ازاء هذا الانتقال قد اظلم قاصنا العراقي ، اذا لم ار وجوها او اقلاما تزخر بالاشواق والرؤى ، وترسم طريقا معبدا للقصة العراقية الاصيلة والتخطي نحو دنيا واسعة ، مشاركة منها في تحرير الانسان من الاستغلال والتبعية !.. وبذلك يبدو ان بعض الهواجس والامراض والاضطرابات التي تحد من تفتح القصة العراقية اصبحت واضحة ومشخصة تقريبا .

امامي قاص جديد آخر يواصل العزف بنغمات مثابرة ، يتحرك مع ابطاله في زحام شديد يباركهم بالتطلع والخروج نحو الهواء الطلق . يمسد جملة وينحتها بتأن وصبر ذلك هو محمد احمد العلي .

وهذا يعني اننا امام فتح قصصي جديد حيث نراه يكتب باطراد عن الفلاح ، عن القرية والمدينة عن الحب والزهو الانساني .. بالرغم ان هذا القاص يبدو مبهما وغريبا في الوهلة الاولى كما هو الحال في قصة : (فصخون الدشتي) (١٩) وبعض قصص مجموعته (فوانيس النهار الاربعين) . ان هذا القاص يلتقي في الموضوع مع بعض القصاصين العراقيين مثل غازي العبادي وناجح المعموري وفهد الاسدي ومحمد خضير وعبدالرحمن مجيد الربيعي ..

ولناخذ العبادي الذي كتب قصة « القمر لا يستحي » (٢٠) وكتب محمد احمد العلي قصة « شجرة في عيون السلطان » (٢١) ..

ان العبادي الذي كتب قصصه على شكل مذكرات لطيفة في مجموعته الاولى ، والذي فشل ـ بطل العبادي ـ في مساعيه للحصول على فتاة حتى ولو على حساب مجافاة صديقه ـ بالرغم ان الادب الغربي قد مج هذا الخروج كما جاء عند كولن ولسن في ضياع في سوهو ـ الا ان هذه الصياغة جاءت انطلاقا اصيلا ينبع من الحرمان من الحب في مجتمعنا !..

الا ان قصة (القمر لا يستحي) في المجموعة الثانية تجعل غازي العبادي قد كتب قصة جديدة لولا انه اعطى للاقطاعي تلك الشخصية الكاريكاتيرية ـ كامبراطور صيني باخراج امريكي ـ ! وخروجه ـ اي الاقطاعي ـ على عادات وتقاليد قبيلته !..

اما محمد احمد العلي في قصة « شجرة في عيون السلطان » التي ينتقم فيها عجيل من قاتلي بقرته . يقدمه القاص باسلوب رصين ، اذ يقول

« يستطيل ظل عصر لك كثيرا كثيرا .. يتعلق الغبار في الهواء الساكن التعب يمحى منه الصفاء .. وتحته يختفي القطيع يعطش بشكل حاد .. هذه اوبة الخير ، واطلالة المتعبين ، الذين لا يحصون العمر ولا يعرفون العيش الا عندما يموتون . وتعد الرعاة مستندا على قفاك .. بين الحين والحين ترمي برؤية صغيرة الى عرف الدلال في موقد خادم السلطان والحارس الامين ، كان يدني ببده للموقد ثقيلة قوية كالحديد، بجمع الشوق من اهدابهم المتعبة ويعقدها في عنق دلة القهوة .

وتستوى فجاة كل قامة في الهواء ، وتترطب الشفاه باحلى سلام .. جاء السلطان سمينا قصيرا ، داكنا رغم الطراوة والظلال .. خسف الوسادة المطرزة ، وخنصره المزدان بخاتم فضي وشذرة زرقاء ...» بهذا الشكل يعرض لنا القاص طريقة انتقام عجيل من الشيخ الذي اغتال بقرته والتي هي كل شيء في حياته لانه بها فلاح ، وبها يعيش ...! والقاص طرح اسلوب الانتقام بان مزج عجيل شراب القهوة بالرماد وقلب الدلال .. وبنفس السلاح الذي اسقطوا به بقرته فاستباحها

---

(١٩) مجلة القصة التونسية عدد ابريل ١٩٧١ .

(٢٠) غازي العبادي ـ ابتسامات للناس والريح ـ ١٩٧٠ ص ٥٣ ـ ٦٩ (بغداد)

(٢١) محمد احمد العلي ـ فوانيس النهار الاربعين ـ ١٩٧٠ ـ ص ٥٣ ـ ٦٢

اتباع السلطان ، فاكلوا لحمها ، شهر هو الاخر سلاحه ليمحو به وجه القاتل الكبير ، وحينما ضرب لم يدر ايهما انخسف قبل الاخر ، وجه الشيخ ام السلاح ..؟ وفي الحال سقط عجيل من طلق ناري . وكان جميلا من القاص ان يقول : « وكان رماد الموقد كريما .. فلم يحرق جرحك » ..

لكن في قصة غازي العبادي « القمر لا يستحي » يأتي الانتقام من الاقطاعي بشكل مباشر ، حيث يقتل عودة كلب الشيخ ، وبنفس العصا الغليظة يهوي الشيخ بها على رأس عودة ، فيسقط جثة هامدة بجانب جثة الكلب . اما صورة شيخ العبادي فهي :

« وتبدأ الايدي تضرب الصدور وتستولي عليه الدهشة وهو يرى الشيخ نفسه في جلسته تلك يرفع يده البيضاء المثقلة بالخواتم الذهبية ويضعها برفق على صدره .. ويسكت الصغير وفي رأسه اسئلة كثيرة . لماذا السواد في كل مكان . والشيخ يرتدي ثوبا ملونا ..) اما الحوار فكان باللهجة العامية وهذه نقطة تؤخذ على قصاصينا فقد استعملها غازي العبادي نفسه وناجح المعموري وشاكر خصباك وعبد الرزاق الشيخ علي وغيرهم . ولكن ربما استعذبوا هذا الاستعمال فآثروه على الفصحى !..

وقبيل ان نترك هذه التحولات والتطلعات اود ان نعود الى الماضي قليلا ، لنرى محمود احمد السيد وقصته (بداي الغايز) في مجموعته : « في ساع من الزمن » حيث نجد قصة الحياة الحائرة على ضفتي نهر الفرات ، انها تصوير لواقع الفلاحين وحياتهم قبل اربعين عاما ...! (بداي) شاب عزيز النفس يرفض ان يسيء اليه الاقطاعي ، ولهذا فانه لم يستجب لسيده ، فيعيره هذا (الشيخ) بجبنه لانه لم ينتقم لاخيه عباس الذي قتله جسام من عشيرة اخرى .. فتجرح كرامة (بداي) ويذهب ليترصد قاتل اخيه . لكن نهر الفرات يفيض فتتحطم السدود والجسور ويغمر الماء الارض التي تقوم عليها قبيلة جسام .. فيبصر ويتحسس الخطر الذي يحيق بالعائلة التي جاء يريد الانتقام منها

« فراى ـ مما راى ـ اطفال جسام الثلاثة في صراخهم وعويلهم .. وزوجه تحمل بعض المتاع وتقتاد البقرة واخته تريد ان تحمل امها العجوز .. وابناء القبيلة كل منهم مشغول ببلائه .. وكانت الكلاب تنبح شاعرة بالخطر نبحا صاخبا يملأ الجو . وحينئذ بداي يحكم لثامه شدا ، ويتنكب بندقيته ويشمر عن ساعديه ويبادر لنجدة هذه الاسرة وعونها » . (٢٢)

وهكذا فان بداي لم يحقق ما جاء من اجله .. واخيرا قامت المساعي ـ بعد ان عادت القبيلة الى ارضها ـ للصلح بين الرجلين ، وكانت اخت جسام بدلا لهذا الصلح لتصبح زوجة لبداي ، ولم يجرؤ احد على ان يعير بداي بانه جبان .. بعد ان ظهر بانه شجاع وشهم !..

ان اختيارنا لهذا النموذج يجعلنا ان نعقد موازنة ونرصد تاملات وتغيرات بين الماضي والحاضر . فقصة محمد احمد العلي (شجرة في عيون السلطان) حيث عجيل يخرقه قيم الشيخ المتوارثة ومن ثم يضربه بالالة الراضة التي سقطت بها بقرته .. ومن ثم يموت عجيل بطلق ناري وكان شيئا لم يحدث !..

ثم يأتي (عودة) ـ في قصة (القمر لا يستحي) للعبادي ـ فيقتل على يد الاقطاعي ،ولم ينتقم احد من الشيخ ، سوى ان الصبيان يبرزون ان عدم خروج الشيخ مع كلبه الجديد ، خوفا من ابن عم عودة ، راضي الجندي ..

فعلام يدل ذلك ؟.. اليس ذلك يعني او يرمز الى ان قاصنا الجديد قد تخطى او كون علاقة مع الماضي .

ولن أخرج عن هذا السياق الا قليلا . فهذا محمود احمد السيد ايضا في روايته « جلال خالد ١٩٢٨ » .. فهي صورة مصغرة او بداية لرواية الطيب الصالح « موسم الهجرة من الشمال »

ان ذلك فرض لا غير . حيث ان الروايتين يتمثل فيهما الاغتراب . وحيث يجري نهر النيل هناك ، يجري نهر الفرات هنا .

اما اذا أوجزنا رواية (جلال خالد) فانها تصور نفسية شاب عراقي يغادر العراق ـ ايام الاحتلال الانكليزي ـ الى الهند فتربطه صداقة حميمة بصحفي هندي . ثم ان هذا الشاب يدرك الظلم الاجتماعي الذي يعانيه الهنود فيخرج مفهومه الوطني الضيق الى المفهوم الانساني .. ثم انه يرى اضرابا للعمال لم يشهد مثله في بلاده :

« ـ لم اشهد من قبل اضرابا في بلادي . لانها لا عمال بها ، انما بها فلاحون جائعون ، بيد انهم قانعون راضون » . (٢٣)

ثم ان الصحفي يرد عليه :

« ـ اتغبطهم على القناعة والرضى بحقير العيش ؟ » (٢٤) .

وقد أثر هذا الصحفي تاثيرا كبيرا في جلال وغير مفاهيمه . وقد هزته انباء الثورة العراقية عام ١٩٢٠ في الشمال وعلى نهر الفرات ولكن اخفاق الثورة العراقية واحتلال الفرنسيين لسوريا اخمدا حماسته .. وبطريقة اخرى راح يعمل من جديد ، يدرس ويتمعن ليشن حملته على الآفات التي هي سبب تأخرهم وفشلهم ، بالاضافة الى قصة الحب التي تعيش في ثنايا الرواية والتي زادت من حساسية البطل وانطلاقه في بحر من الافكار ..

ان هذه القصة وان لم تبلغ قصة « موسم الهجرة للشمال » غير انها مثال يحتذى به سواء اقتدى به « الطيب الصالح » ام لا .. ثم انها كتبت على شكل مذكرات متبادلة بين صديقين كما كتب جيته (الام فرتر) على شكل مذكرات ..

هذا الحدث يجعلنا ان نتوسم في رواد قصتنا الاوائل المنحة والامانة والصدق من جانبهم والاعتراف بالجميل والتكريم وعدم التكابر من جانبنا ! .. ولقد لقيت القصة العراقية في الخمسينات ثناء من قبل النقاد ، فهذا الدكتور سهيل ادريس يتعرض للقاص عبدالملك نوري في سنة ١٩٥٣ فيقول :

« وقارىء عبدالملك نوري يدرك انه متاثر بكتاب (الروس الحدسيين) امثال دستويفسكي وغوغول وتورجينيف ، كما انه متاثر بالكتاب الانكلوسكسون وخاصة بروايات جيمس جويس وفرجينيا وولف ، وهو شديد الاهتمام بسبر اغوار منطقة اللاوعي ونصف الوعي وتداعي الافكار بل تداعي الكلمات احيانا ، كل هذا من مقومات خلق ..الجو النفسي ، والمحاورة الداخلية » (٢٥) .

اليس ذلك شاهد على ان قاصنا الاول قد بذر واحسن البذر، غير ان نقادنا وقصاصينا لا يعترفون بوجود للقصة العراقية قبلهم ـ الا ماندر ـ وبينهم من يحث على قراءة فرجينيا وولف ، وفاته ان قاصنا العراقي قرأ هذه الروائية والقاصة منذ اكثر من ربع قرن!.

ليس هذا وحسب فان مجلة الاداب كانت قد ثمنت الادب العراقي القصصي في الخمسينات بقولها :

« وبعد فان النظرة في القصة العراقية كافية .. لانه ثبت بان النتاج القصصي في العراق يحتل مركزا هاما في مجموع الاثار القصصية في الادب العربي الحديث . انه ادب صراع ومقاومة وثورة يستجيب اكثر من اي ادب اخر في البلاد العربية الى الحاجات الحيوية التي يتطلبها مجتمع في ابان نموه . هذا الادب الذي يعي المهمة التي ينبغي له ان يضطلع بها في حياة البلاد ، ولا يجتزىء

---

(٢٢) محمود احمد السيد ـ في ساع من الزمن ـ ج ١ بغداد ١٩٣٥ ـ ص ١٣ ـ ١٤

(٢٣ ، ٢٤) محمود احمد السيد (جلال خالد) مطبعة دار السلام في بغداد ١٩٢٨ ص ١١

(٢٥) الاداب ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٥٣ ،بيروت ،ص ٣٥ ـ ٣٦

مطلقا بايراد واقع جاف خام ، وانما يخلق ويصنع نماذج من الابطال يسهم بواسطتهم في نصب مثل عليا تتيح للجيل الجديد ان يخط لنفسه دربه الخاص ، وان ينتقل من وعي حقيقته الى العمل البناء في سبيل تحسين اوضاعه الاجتماعية والسياسية » (٢٦) .

وبذلك نقول : ان لدينا تراثا قصصيا ذو جدارة ومكانة ..

وما محمود احمد السيد ، وانور شاؤل ، وذو النون ايوب، وجعفر الخليلي ويعقوب بلبول ، وعبدالحق فاضل وشالوم درويش ، وعبدالملك نوري وشاكر خصباك وصلاح الدين النامي وعبدالرزاق الشيخ علي وغيرهم .. الا اسماء لامعة في تاريخ ادبنا القصصي فمنهم من غاب عن هذه الدنيا فاصبح تراثا ومنهم من يسهم بنشاطه قليلا او كثيرا ومنهم من فترت همته فانزوى ، او ان هناك مبررات لهذا النشاط او هذا الابتعاد غير انهم بالتالي ارهاص وجذوة !.. اما لماذا يستعلي قاصنا الجديد على هذا التراث ... ؟ فان القاص الجديد ، يجد الحياة قد تغيرت ، حيث الامكانات العلمية اي التقدم التكنولوجي (التقنية) من جهة والتخلف والفوضى الفكرية من جهة اخرى .. ومن ثم الصراع الدائر بين القديم والحديث . من هذا ينطلق الشباب بالثورة على القديم ، او ما يسمى بتمرد الابناء على الاباء اي انه ـ ميكانزم يلهو به جيل القصة الجديد ، فاصبح مرضا يحاولون ـ ربما ـ التخلص منه !

وكل هذا قد يكون صحيحا ولكنه ايضا في مفهوم اخر استعلاء ولكن هذا لا يعني من جانبي انني ادعو الى الواقعية التقليدية :

« ان الواقعية الحرفية لا تقدم لنا الا حالة واحدة فضلا عن انها خاطئة لانها تقدمها ساكنة ، فهي قاصرة لانها تعتمد على قطاع واحد من الواقع ، يتجاهل الواقع النفسي والواقع الحدسي والواقع الكوني .» (٢٧) .

هذا يعني ان القاص متأرجح وما يستطيع ان يفعله هو ان يقلق القارىء ويدفعه للبحث معه عن الحلول .. ثم انه يملك سر اللغة وشفافيتها ..

اما معاناتنا لازمة القصة القصيرة التي تدعو الى القيم الانسانية والفكرية ورفض الاساليب الجائرة في معاملة الانسان ، فهي ازمة واقعة .. اما اننا نقول اننا نعاني ازمة قصة قصيرة ،وحسب، فان ذلك لم يحدث ، فالمجموعات القصصية المطروحة في المكتبات والمنشورة في الصحف والمجلات يدلل ان لدينا زخما قصصيا ،وان وراء ذلك ولادات جديدة رائدة ! .. غير ان هناك ازمة نشر حادة تواجه القاص ، فلا يستطيع عرض انتاجه بسهولة ، بسبب ضعف القوة الشرائية وازمة توزيع الكتاب في البلاد العربية والعالم !..

وبالتالي ازمتنا ازمة التزام قصصي وانساني ، وحماية القاص لنشر انتاجه بسهولة . ومن ثم فاننا بحاجة الى تثبيت قيم وتصحيح اخطاء متراكمة والتخلص من الامراض النفسية والفكرية ! والا فقاص مثل عبدالرحمن مجيد الربيعي الذي كتب قصصا كثيرة واخرج مجموعات قصصية جديدة ، يبدو انه حائر متردد .

وقد قلت قولتي فيه حينما اصدر مجموعته الاولى « السيف والسفينة » حيث يشعر القارىء بقابلية القاص وخياله .. لكنه من طرف اخر يريد ان يدمر رؤيته وثقافته او يبدد ، السنوات القادمة ، باقحامه اللغة ـ التي هي اسناد من السقوط ـ نحو طرق ملتوية ، حيث الكلمات مرشد حائر . .

ولم يقف هذا القاص ، بل استمر يكتب وينشر : الظل في الراس، وجوه من رحلة التعب ، المواسم الاخرى .. ينشر قصة هنا ، ومقالة هناك ، ، كلمة في هذه الصحيفة ومسرحية في مجلة وربما حاول الشعر والنقد في مناسبات اخرى . انه نشط ومثابر . ويستطيع ان يكون القاص المبدع ، لو تريث قليلا وصاغ جهوده بشكل جديد !.. فما تولستوي الذي اطلق عليه بالسلحفاة !.. لتمعنه وتدقيقه في اعماله قبل نشرها . وكانت اجابته على هذه التسمية بان السلحفاة غلبت الارنب !..

غير ان الربيعي عبد الرحمن في مجموعته الاخيرة يعود الى الواقعية بشكل آخر ، خصوصا في قصة (المواسم الاخرى) وفي قصص غيرها !.. وهذا يوضح الى ان قاصنا في حالة تغير واسترجاع وتطلع ..! ونفس الامر مع قاص آخر هو عبد الستار ناصر ، الذي كتب قصصا كثيرة مثل : « اشياء تشبه الحلم » (٢٨) و « قوة اللون » (٢٩) ، و « السيد » (٣٠) و « رجل اسمه الشريف نادر » (٣١) يستطيع ان يكتب قصصا جديدة وهادفة مثل قصة « الزقاق البارد » (٣٢) وقصصا اخرى !..

هذا القاص ذو النفس الطويل والحبكة المتقنة ، يستطيع ان يكون قاصا جيدا يمتلك التكنيك والرؤية العصرية ، لو انه جاهد في سبيل ذلك ومهد لنفسه النجاح بدلا من التدهور !.. ولهذا فالتيه والتغريب واللامبالاة والتكرار ، كل هذه اندفاعات تثير السأم وتورث الملل عند القارىء وقاصنا لا ينفك يمارس مثل هذه المحاولات .

ان قاصنا العراقي بعد ان اطلع على الادب الغربي ، ادب ما بعد الحرب .. كان المجتمع الاوربي قد اجتاز مرحلة كبيرة بدات النماذج الادبية الكلاسيكية والرومانتيكية تنحسر تدريجيا وراح القارىء لا يستعذب ذلك الادب ولذلك وجدنا خروج كتاب يمتلكون القوة الابداعية مثل جيمس جويس وفرجينيا وولف وغيرهما يكتبون القصص النفسية التي تدور بشكل حوار داخلي او اعتراف او بشكل حوار متبادل يكشف عن المعاناة والضياع والقهر وانهيار المثل والقيم الاجتماعية ومجافاة الانسان ومسؤوليته الفردية ، وطغيان رأس المال والاحتكارات وتكالب الاستعمار العالمي والمؤامرات والثورات ..

كل هذا ساد بشكل جارف ، فجاءت القصة بشكل شكوى او انفتاح شعري يشد القارىء ان يعرف نفسه وهمومه وحاجياته من خلال هذا الشكل الفني الذي تتراءى له فيه صور الحياة المختلفة ومن هنا انطلق قاصنا العراقي والعربي ايضا ليقلد تلك الصيغ ، فانتشرت التسميات والاستعارات عند قاصنا وناقدنا .. مثل كافكوي ، كامو ي ، برجوازي ، كسموبوليتي .. الخ ومنهم من تشبث بفوكنر ، وفرجينيا وولف ، وترجينيف ، وهمنغاوي ، وجان بول سارتر ، وكولن ولسن

---

(٢٦) الاداب ، نفس العدد السابق ، ص ٣٤ ـ ٣٨ .

(٢٧) د . عبدالحميد ابراهيم ـ القصة القصيرة بين الشعور واللاشعور مجلة المجلة العدد ١٧٢ ـ ابريل ١٩٧١ ص ٨٩ ـ ٩٥ .

(٢٨) مجلة العاملون في النفط ـ العدد ٩٧ ـ تموز ١٩٧٠ ـ بغداد ـ

(٢٩) العاملون في النفط ـ العدد ١٠٦ ـ ١٩٧١ ـ بغداد ـ

(٣٠) الاقلام ـ العددان الثاني والثالث ـ آذار ، نيسان ١٩٧١ ص ٣٣ ـ ٤١ ـ بغداد ـ

(٣١) قصص عراقية معاصرة ص ١٣٠ ـ ١٤٧

(٣٢) الاقلام ـ الجزء الثاني ، تشرين الثاني ١٩٦٩ ص ١٠٥

وغيرهم .. ناسيا او متناسيا الظروف الاقتصادية والسياسية والتطور واننا دولة نامية .. ، همه أن يكتب قصة مثل قصة ناتالي ساروت ، او آلان روب كرييه ، وغير ذلك ، فتاتي كتاباته كلمات لا غناء منها ولا حصاد ، بل التنكر للفلسفة الاجتماعية ورصد القيم الانسانية .

« فالقصة القصيرة لا يمكن أن تكون اصيلة الا حينما تعالج المشكلات الاساسية للوجود الانساني » . (٣٣)

وبعبارة اخرى ان القصة العراقية لا يمكن ان تكون اصيلة الا اذا انطلقت من المشاكل الداخلية ، مع موقف المؤلف من العالم الـذي يتمثل في انسانيته !..

وقبل ان ننهي كلامنا لا بد ان نعود الى تطور القصة العراقية ، حيث يرى الدكتور صفاء خلوصي (٣٤) ،بان معظم قصاصينـا يمرون بثلاثة ادوار هي القصة الجنسية والقصة الاجتماعية والقصة السياسية وهذا تقسيم مبالغ فيه .

بينما شجاع مسلم (٣٥) وهو من الذين يؤكدون على التـراث القصصي يجعل القصة تقف على ثلاث تيارات هي :

أولا : تيار السرد التقليدي : ولا يمكن ان نقول ان ممثلي هذا التيار قد سقطوا لانهم لا يرقون الى مستوى طموح وعي الفرد المعاصر ، حسب تعبير الناقد .. ولكن يمكن القول عنهم بحذر ان اسلوبهم انحسر عـن وعي القارىء الجديد وذلك خلال عملية التجدد بتطور الظاهرة وانتقالها الى درجة جديدة ..

ثانيا : تيار الشعر والرمز والاسطورة : واذا كان مثل هذا التيار ثمرة من ثمرات نظريات فرويد في الشعور واللاشعور والجنس ، كما يرى شجاع مسلم وغيره من نقاد القصة .. فان البحوث والدراسات الحديثة بدأت ترفض الفرويدية وتعتبرهـا مثيولوجيـة تخدم المفكريـن والعلماء والمرضى (٣٦) .

وقد اعتبر شجاع مسلم ، عبد الرحمن مجيد الربيعي من الذين يمثلون هذا التيار انطلاقا من تفسيره لكلمتي (السيف والسفينة) بأن القاص رمز بهما الى العضوين الجنسيين لدى الرجل والمرأة .. ومن ممثلي هذا التيار على هذا الاساس موسى كريدي ومحمد عبد المجيد، ومحمد خضير في قصة (القطارات الليلية) وناجح حسين المعموري في قصة (احزان الرجل العائد من النهر) (٣٧) ومحمد احمد العلـي في قصة (الطير الاخضر) وسركون بولص وغيرهم .

ثالثا : تيار الوصف الخارجي المباشر : ومن ممثلي هذا التيار ، محمد خضير ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، ولطيفة الدليمي ، ويوسف الحيدري ، وسالمة صالح ، وحسب الله يحيى ، ناجح حسين المعموري، محمد احمد العلي واحمد عبد الكريم ، وعبد الستار ناصر ، وجاسم الناصر وغيرهم . ومنهم من جمع بين هذه التيارات جميعا ليكتـب القصة الفنية الناجحة او يكون ملتزما يحس بالتغير والتطور فيجاريهما ومن هؤلاء غانم الدباغ ، وفؤاد التكرلي ، وذو النون ايوب وباسـم عبد الحميد حمودي ، وعامر رشيد السامرائي ، وعبد الله نيازي وشاكر خصباك ، وغائب طعمة فرمان ، ومهدي عيسى الصقر ، وبسيم الذويب وادمون صبري وعبد الصمد خانقاه وجيان وغيرهم !...

ومع انـي قد استرسلت في مجاراة هذا التقسيم ووضعت الاسماء وفقا له ولكنني اجد القصة الفنية الناجحة لا تخضع لهذه التقسيمات، وبذلك تنعدم التسميات : الخمسينات والستينات .. الخ للمحافظة على ما هو ايجابي لانه يستحيل التطور بدون ذلك !..

ومع ذلك نستطيع ان نقسم اتجاهات القصة الى اتجاه تقليدي وآخر حديث وما بينهما ، حيث يسود التجاذب والتماسك . ومـن ثم فان شجاع مسلم يؤكد « بان ازمة القصة العراقية ليست فـي التكنيك او البناء المعماري بقدر ما هي ازمة في رؤيا القاص الى الكون والمجتمع والتاريخ ، فان من الواضح فعلا ، ان دراسة القصة العراقية اذ تكشف عن غنى لا بأس به من الاشكال التعبيرية ، انما تكشف ايضا عن فقر مريع في رؤية القاص العراقي ووعيه » . (٣٨)

وعندي أن بعد كل هذه التطورات والتيارات وهذا الرفض ، وهذه الهواجس والتصدعات ، لا بد ان تولد القصة التي تعي متطلبات الانسان العراقي بشكل خاص والعربي والعالمي بشكل عام ، منطلقة من ارضية فكرية وانسانية واستراتيجية يستطيع بها القاص ان يسير جنبا الى جنب مع القارىء يرتفع به الى مشارف القيم متحررا من كل خـوف وذل !..

أعظمية ـ السفينة — المدرسة النزارية **صاحب كمر**

---

(٣٣) مجلة ـ الهلال ـ (عدد اغسطس) ١٩٧٠ ص ١٠٩ ـ القاهرة ـ

(٣٤) الدكتور صفاء خلوصي ـ ادب القصة في العراق ـ دليل العراق لسنـة ١٩٦٠ ص ٥٥٩ .

(٣٥) مجلة المثقف العربي ـ العدد الثالث نيسان ١٩٧٠ ص ٧٠ ـ ٨٤ (اتجاهات الاقصوصة) ..

(٣٦) انظر جورج بوليتزر ـ ترجمة لطفي فطيم (ازمـة علـم النفس المعاصر) دار الكاتب العربي ـ القاهرة . ثم مقالة فخري الدباغ (الفرويدية هل قاربت الزوال) المثقف العربي العدد ٣ آب ١٩٧١ ص ٨٧ ـ ٩٠ .

(٣٧) مجلة الف باء العدد ١٤٤ ، ١٢ أيار ١٩٧١ .

(٣٨) المثقف العربي العدد الثالث ـ نيسان ١٩٧٠ ص ٨٣

اطلب كتب دار الآداب
فـي

جمهورية اليمن الديموقراطية

مـن

مؤسسة ١٤ اكتوبر

للطباعـة والنشر

ص. ب ٤٢٢٧

كريتـر ـ عـدن